

شروط الأداء التعليمي والتكوين الجامعي

أ/ رواب عمار

قسم التربية البدنية والرياضية

جامعة محمد خيضر - بسكرة.

الملخص:

Abstract :

The University had been and she/you is still a center for the intellectual radiation and an active pole then in change of the societies and her development.

Then a fate of the big nations is bind undoubtedly in big part from him by the educative system usefulness and the collegiate, and not assimilation of the economic strength and the sociability evened the reversal for University and capable on I/we played a role like fundamental rule for each strategy change and an impulse for each civilized progress .

With respect to the educational operation in the University an opened order, whatsoever is dubious the teacher and the student blinked no matter what in her, if he starts to express him from the views and what he steps up the information's by him by eye of the considering the most inclusion and the most efficiency make the operation of the evaluation, and this will treat of him in this artic.

لقد كانت الجامعة وما تزال مركزا للإشعاع الفكري وقطباً فاعلاً في تغيير المجتمعات وتطويرها.

فمصير الأمم الكبيرة يرتبط دون شك في جزء كبير منه بنجاعة النظام التربوي والجامعي، ولا تمثل القوة الاقتصادية والاجتماعية سوى الانعكاس لجامعة كفاءة وقادرة على لعب دورها كقاعدة أساسية لكل حركية تغيير ودافع لكل تقدم حضاري.

باعتبار العملية التعليمية - التعليمية - في الجامعة نسق مفتوح، يشكل كل من الأستاذ والطالب طرفاً مهماً فيها، فإن أخذ ما يعبر عنه من آراء وما يزود به من معلومات بعين الاعتبار يجعل عملية التقويم أكثر شمولية وأكثر فعالية، وهذا ما سنتطرق له في هذا المقال.

مقدمة:

إن أهم ما يهدف إليه التعليم الجامعي هو خدمة المجتمع والارتقاء به حضارياً، وترقية الفكر وتقديم العلم، وتنمية القيم الإنسانية، وتزويد الوطن بالإطارات المختصة والخبراء المزودون بأصول المعرفة وطرق البحث المتقدمة للمساهمة في بناء المجتمع وصنع مستقبل الوطن وخدمة الإنسانية.

ولأن الجامعة معقل الفكر الإنساني في أرفع مستوياته، ومصدر الاستثمار وتنمية الثروة البشرية وبعث الحضارة العربية والتراث التاريخي للشعب العربي، وفي سبيل تحقيق أهداف مناهج التعليم الجامعي نقطة البداية الطبيعية التي وجب الإحاطة بها من أعضاء هيئات التدريس أساليب ومصادر التعليم الجامعي ومن أهمها المحاضرة التي تعتبر من أقدم أساليب ومصادر التعليم، وقد كانت المحاضرة والسيورة والكتاب ومازالت حتى الآن أهم هذه الأساليب، وعلى الرغم من ذلك ظهرت طرق أخرى للتعليم على مر العصور ففي عام 1890 بدأ استخدام الشرائح Slides في التعليم، ومنذ 1910 بدأ استخدام الأفلام في التعلم بانتظام.

والواقع أنه لا يوجد نظام متفق عليه لتصنيف أساليب ومصادر التعلم، فهناك مصادر عديدة للتعلم تشمل البيئة بكل إمكانياتها تبقى المحاضرة أشهرها.

أولاً: الظروف التي تؤثر على التدريس في الجامعات

تواجه الجامعات، كمراكز للتعليم المتقدم، تحديات عديدة فالأمم تتطلع إليها بحثاً عن الأفكار الأكثر فاعلية في العديد من المواطن ومن ضمنها التربية، والصحة والزراعة... الخ، وتسعى المنظمات بصورة منتظمة للحصول على الخدمات الاستشارية من الجامعات وذلك بغية الحصول على الإرشادات المتعلقة بالمشاريع ذات الكلفة، ويحاول العديد من الناس الدراسة بجد وبذل الكثير من الوقت والمال بهدف الحصول على التعليم الجامعي والتهيئة للحياة العملية.

تواجه الجامعات مجموعة من التحديات الاجتماعية والاقتصادية التي ينبغي أن نأخذها بعين الاعتبار عندما نقوم بتخطيط منهج دراسي وذلك لكي يكون مثل هذا المنهج على درجة عالية من الفعالية عند التدريس، وفي هذا الجانب فإن تقدير المتطلبات سيكون

ذا جدوى، لكن ما هي الظروف التي تؤثر على التدريس في الجامعات؟ سنقوم بتعريف البعض.⁽¹⁾

1- متطلبات وخصائص الطالب:

إن العديد من الطلبة يأتون إلى الجامعات من مدارس قد تقع في مناطق ريفية لذا فهم يحتاجون بعض الوقت لكي يتفاعلوا بكفاءة في مثل ذلك المحيط الجديد، ويرجع ذلك إلى كون بيئة الجامعة بالمقارنة مع البيئة التي ينحدرون منها تمثل شيئاً مجهولاً وأكثر تقديراً لمسألة الوقت وأعد من حيث التركيب وأكثر توجهاً من الناحية التقنية وربما يجد هؤلاء الطلبة صعوبة في استخدام المكتبات، والتخطيط للجدول اليومي أو العمل مع الآخرين ممن يعودون إلى مناطق مختلفة وقد ينتابهم شعور بالوحدة والقلق.

ويواجه الكثير من الطلبة مشكلات واضحة فيما يتعلق باللغة المستخدمة في التدريس كونها لا تمثل في الغالب لغتهم الخاصة وفي بعض الحالات يكون تدريسهم السابق في حقل التدريس غير كاف وكننتيجة لذلك ربما يصادفون بعض الصعوبة في متابعة المحاضرات وفهم المادة الدراسية، وتدوين الملاحظات بالإضافة إلى ذلك ليس من السهل على مثل هؤلاء الطلبة توجيه الإجابة عن الأسئلة بصورة واضحة وكتابة التقارير والبحوث الفصلية.

هناك مشكلة أخرى تختص بالمواقف التي يبديها الطلبة إزاء التعليم والتعلم، على سبيل المثال يتقدم العديد إلى الجامعة على أساس المنافع المالية والمكانة الاجتماعية أكثر من القدرة الأكاديمية والمواهب الخاصة، بينما نادراً ما نلاحظ البعض يقوم بقراءة الكتب حالما تغلق المدارس أبوابها.

وباختصار حين لا يقوم الطلبة بربط عملية التعلم باهتماماتهم وقابلياتهم أو حين يرونها على أنها عملية متواصلة عندها يصبح التدريس عملية تتطوي على جانب من الصعوبة.

2- المحاضرون، المقررات الدراسية، التسهيلات:

إن الكثير من المحاضرين لم يأخذوا حصة من التدريب فيما يتعلق بطرق التدريس أو في مبادئ التعليم. وما يضاف إلى ذلك، أن نسبة ملحوظة منهم يمتلكون شهادة أولية،

وكذلك يشعر المحاضرون بعدم الرضا حيال الظروف غير المشجعة على التدريس والتعليم والبحث فعلى سبيل المثال، المشكلات المتعلقة بإعداد الترتيبات المناسبة للعمل الميداني، والنقص في مواد المطالعة، والتسهيلات المتواضعة، كل ذلك يثبط من عزيمتهم في المضي بواجباتهم بصورة فعالة.

وهناك عدد من المسؤوليات الملقاة على عاتقنا والتي لا ترتبط مباشرة بالتدريس والبحث، إلا أنها مع ذلك تؤثر على نشاطاتنا المهنية، وكوننا من بين القلة التي تلقت التعليم العالي في مجتمعاتنا، يطلب منا مرارا الانخراط في شتى اللجان الاجتماعية وعلينا أيضا العناية بالأقارب الذين يتوقعون منا الدعم المالي وأشكال المساعدة الأخرى، وقد يجد البعض منا صعوبة في توفير السكن لعائلته، تبعا لذلك، يكون من العسير التركيز علي التدريس ومواصلة البحث. (2)

*أهم الخصائص الواجب توفرها في المحاضر الجيد:

1. التحدث بصورة معتدلة.
2. امتلاك صوت قوي (جوهرى) واضح ونطق سليم.
3. التنوع في نغمات الصوت.
4. توظيف الأسلوب الإلقائي الحوارى.
5. استخدام اللغة البسيطة والمصطلحات التي تكون سهلة الفهم.
6. حسن استعمال التعبيرات الوجيهة والإشارات.
7. التمتع بشخصية مرحة وعدم التخوف من إظهار الابتسامة.
8. التركيز والنظر إلى الطلبة واحدا واحدا وتارة وعلى الصف بصورة عامة تارة أخرى.

9. التميز بالنشاط الدائم وبعث روح الحماس في أساط الطلبة. (3)

أما بخصوص المواد فإن الكثير من الكتب المنهجية لا تتضمن مواضيع وثيقة الصلة بما يحيط بنا، أو توضيحات أو تمارين. إضافة لذلك، ربما تكون لغة هذه الكتب صعبة بالنسبة للطلبة، وما هو أسوأ من ذلك، أن هنالك نقصا في هذه الكتب والمجلات.

وهناك مشكلة أخرى تتمثل في الافتقار إلى قاعات للمحاضرات والنقاشات الدراسية فلماذا لا نتمكن من حل تلك المشكلات؟ يعود السبب في ذلك إلى مشكلات أخرى مثل: تحديدات الميزانية، الافتقار الفني المؤهل لتهيئة المواد، والمحفظات غير الكافية للمحاضرين، والافتقار إلى الجهات المانحة، وما شابه ذلك. (4)

3- عملية التقييم:

إن ما نقوم به من عملية تقييم للطلبة لا يوازي ما يتوجب علينا القيام به، حيث يبدو لنا أن الامتحانات النهائية هي العامل الحاسم في عملية التقييم التي نقوم بها فلماذا يكون ذلك؟

في بعض الأحيان، يصبح الفوج كبيرا جدا ونكون مرهقين نتيجة الساعات المخصصة للمحاضرات والواجبات البحثية والإدارية، وكذلك نجد أنه من الصعب القيام بالترتيبات اللازمة لتقييم الطلبة موقعا أو في مواقف عملية، علاوة على ذلك، في الجامعات التي تعطي فيها الامتحانات الإضافية (التكميلية)، بالإضافة إلى الامتحانات المنتظمة، فإن من العبء القيام بإعداد سلسلة من الامتحانات بصورة مناسبة، وتصحيح الأوراق الإمتحانية بعناية وإعطاء المعلومات الاسترجاعية للطلبة.

وهناك مشكلات أخرى تتعلق بتقييم الطلبة، ففي بعض الحالات يقوم أساتذة مختلفون بتدريس شعب مختلفة من نفس المقرر، لكنهم لا يستخدمون نفس أسلوب التقييم ويبدو كذلك أن العديد من الأساتذة ليسوا متمكنين بما فيه الكفاية مع الطرق والأساليب المناسبة لوضع الأسئلة، واستعراض الأسئلة الامتحانية وتحليل النتائج، بالإضافة إلى ذلك يتم النظر إلى الامتحانات غالبا على أنها أساس لتحديد المستويات وأن أهمية النتائج الامتحانية في تحسين عملية التعليم - التعلم، لا يتم وضعها موضع التقدير بصورة مناسبة. (5)

ثانيا: تعديل الطرق التدريسية

يتم تدريس بعض الموضوعات عن طريق استخدام طرق تعليمية محددة فعلى سبيل المثال، ينطوي درس التاريخ على السرد والتفسير. ومن جانب آخر تتطلب المواد التقنية إلى الرسم التقني (الهندسي) والطباعة والشرح، والجانب العملي. إن إتقان الرموز

لم يحظى بذلك التأكيد في العلوم السياسية مثلما هو عليه في الفيزياء والرياضيات أما التمارين الشفوية فإنها أكثر ملائمة لتدريس اللغة من دروس الجغرافيا.

1- تنظيم العرض ووضوحه:

إن تنظيم عملية العرض (التقديم) تساعد الطلبة على تفعيل المعرفة ذات الصلة ورؤية الكيفية التي تناسب فيها فكرة أخرى، وتوقع الفكرة اللاحقة، وكذلك فإن اللغة البسيطة والأشكال غير المعقدة، والخطوات الواضحة، تساعد في عملية الفهم أو استيعاب النقاط البارزة دون عناء، بالإضافة لذلك فإن المحافظة على نسبة صحيحة من العرض يكون على جانب من الأهمية لأن باستطاعة الطلبة التعامل مع كمية محدودة من المعلومات في زمن معين علاوة على ذلك فإن الإطناب أو تكرار فكرة ما بصيغ مختلفة، من شأنه التأكيد على أنه لم يتم تجاوز أية نقطة أو فهمها بصورة خاطئة.

2- النمذجة:

كمحاضرين جامعيين، قد نتمكن من التأثير على طلبتنا، حتى من خلال طرق لا تتم توضيحها بصورة صريحة في أهداف المنهج وخطوطه العريضة، فالتروي والعناد والجدة والترتيب كلها مزايا من الممكن ترسيخها لدى طلبتنا من خلال النمذجة بعبارة أخرى، فإن الطلبة غالبا ما يقومون بتبني مثل تلك السلوكيات التي تصلح أن تكون أمثلة، حتى حينما لا يدرسون عنها شيئا

3- التمارين والمعلومات الاسترجاعية:

هنالك القليل من الأفكار التي تختص باستخدام التطبيق والمعلومات الاسترجاعية (معرفة النتائج) في نشر التعليم، سنلقي نظرة البعض منها.

إذا ما قمت بتشجيع الطلبة على تطبيق معرفتهم ومهاراتهم في ظروف مختلفة، فإن ذلك سوف يسهل من عملية تطبيق الأفكار والمهارات على مواقف وحالات جديدة، ففي المواد التي تتضمن الكثير من المعلومات الشفوية، سيجد الطلبة أن الشرح الموسع يكون ذا تأثير أكبر بهدف الاستيعاب والحفاظ على المعلومات و تخزينها من مجرد التكرار البسيط ولدراسة النص، من الممكن أن تكون الأساليب التالية ذات فائدة: المسح، السؤال، القراءة، الربط، التكرار، والاستعراض أما الأساليب الفردية مثل: اقتفاء أثر أصل

المصطلحات والتوضيح وإعطاء الأمثلة وتكوين الصور الذهنية وتجزئة التمارين إلى نسب يمكن معالجتها، وتصنيف المعلومات حسب التسلسل، والنوع، وتصوير المعلومات بهيئة الأشكال التوضيحية، وتحديد التضمينات والتخليص، فإنها من الممكن أن تكون مفيدة ومساعدة.

إن المعلومات الاسترجاعية التي تتضمن شكلا من أشكال المكافأة مثل: الإطراء أو الامتيازات تساعد على تعزيز الأداء والمثابرة.⁽⁶⁾

ثالثا: مشكلات عامة لطريقة المحاضر

هناك مشكلات عامة لطريقة المحاضرة يمكن تصنيفها بصورة عامة إلى:

أ- مشكلات تتعلق بالمشاعر الشخصية للمحاضر:

من الأمور الشائعة أن كل المحاضرين تقريبا يبتاهم القلق والعصبية عندما يواجهون جمهورا للمرة الأولى، وقد تكون نتيجة ذلك تلجج المحاضر وتزايد الشعور بعدم الثقة وسيطرة الخوف من عدم القدرة على الإجابة على الأسئلة التي قد توجه إليه وتفادي الحوار مع الطلبة.

وهناك عدة طرق لمعالجة الشعور بالعصبية من جانب المحاضر، إحداهما أن يعد نفسه جيدا قبل المحاضرة إضافة إلى تجنبه الغموض والألغاز ويخفف من الشعور بالسلطة وأن ينقل الحوار إلى الطلبة، طريقة ثالثة هي أن يغير في وضعه عندما يشعر بالعصبية فإذا كان جالسا وقف وتحرك أو تحرك نحو السبورة لكتابة شيء ما.

ب- مشكلات تتعلق بعملية الإتصال:

لا شك أن عملية الإتصال تمثل محورا رئيسيا للمحاضرة وعليها يتوقف نجاح المحاضر أو فشله، ولا شك أيضا في أن لكل محاضر طريقته وأسلوبه الخاص، ولكن على الرغم من ذلك هناك عدة شروط رئيسية تضمن نجاح عملية الإتصال منها التأني في الكلام والوقوف بين لحظة وأخرى لإعطاء الطلاب فرصة للتفكير فيما سمعوه، ومنها أيضا ألا يطيل النظر إلى مذكراته وألا يلجأ إلى الإيماء، ويمكن للمحاضر من أن يتأكد في بداية المحاضرة أن كل الطلبة يسمعون بتوجيه سؤال مباشر لهم وأن يطالبهم برفع أيديهم عاليا إذا تعذر سماعهم له.

ج- مشكلات تتعلق بإعداد المحاضرة وتنظيمها:

من المنطقي في بداية أي عمل أن نحدد الأهداف التي نرمي إليها ونسعى لتحقيقها، وينطبق ذلك أيضا على المحاضرة فيجب أن يحدد المحاضر أهداف المحاضرة في ضوء محتوى المقرر وأهدافه وفي ضوء المعرفة السابقة لطلابه. (7)

رابعاً: نحو المحاضرة الفعالة (8)

هذه بعض الأمثلة والتوضيحات لكيفية جعل محاضرتك أكثر فاعلية:

الأمثلة/ التوضيحات	الاقتراحات
على سبيل المثال: في نهاية محاضرة كرة السلة يتوقع من الطلبة تحديد الحركات اللازمة لتسجيل هدف.	1- تحديد الأهداف التي يتوقع من الطلبة تحقيقها في نهاية المحاضرة
استخدام الخبرات من الدروس السابقة، ثم طرح الأسئلة على الطلبة لاستخلاص بعض المعلومات من المحاضرة الجديدة، فمثلا عند تدريس التحليل الحسي الحركي للاعب الرياضي يمكن طرح أسئلة تتعلق بالارتباط	2- استخدام الخبرات السابقة المكتسبة كمقدمة لمحاضرة حديثة
يمكن توضيح ذلك من خلال تفسير ارتباط المفاهيم مع مفاهيم أخرى وتوضيح خصائصها وسماتها.	3- توضيح مفاهيم أساسية بطرق متعددة
استخدام الأوراق، ورموز، الجداول، النماذج، الملخصات، التقارير السنوية، أو الاستعانة بأشخاص من ذوي الاختصاص	4- استخدام مصادر متعددة للمحاضرة
كطرح أسئلة تتعلق بأصل الإنسان، العلاقة بين اللغة والتفكير، أو مفهوم التطور	5- طرح أسئلة مركبة للطلبة
استخدام مفردات بسيطة، وجمل قصيرة، أصمت للتأكد من أن الطلبة يتابعونك، قم	6- استخدام لغة سهلة ومنظمة

<p>بكتابة المفردات والمصطلحات المهمة على السبورة.</p>	<p>7- شجع مشاركة الطلبة</p>
<p>اطرح الأسئلة أثناء المحاضرة وشجع الطلبة على طرح الأسئلة أيضا من خلال تجاربهم الذاتية، واسمح لهم بإجراء العروض العملية.</p>	<p>8- استخدام طرق مختلفة لجذب انتباه الطلاب</p>
<p>استخدام الإيماءات، التواصل العيني، ملامح الوجه، النبرات الصوتية... الخ</p>	<p>9- استخدام التوضيحات من واقع الطلبة</p>
<p>مثلا في تدريس قوانين العلوم الطبيعية أو الأحياء أو الكيمياء يمكنك طرح الأسئلة المتعلقة بالخضراوات أو أية مواضيع يومية كعادة الطرق على المنضدة، أو استخدام بعض الألفاظ المتكررة مثل (إم)، (أه)</p>	<p>10- تجنب مشتتات الانتباه</p>
<p>تصرف بحكمة أثناء مواجهة القضايا المتعلقة بالمنهاج، الساعات المكتبية والأسئلة غير المتوقعة.</p>	<p>11- أظهر المرونة في المحاضرة</p>
<p>استخدم المعلومات الحديثة وشجع جهات نظر الطلبة.</p>	<p>12- أظهر الاهتمام بالمحاضرة والمناقشات</p>
<p>تجنب الخلط بين المفاهيم والمصطلحات مثل الدلالات الاحصائية، والدلالة العملية لا تتقبل الأسئلة المبهمة والعامة، وأطرح الأسئلة للتأكد من الفهم فقط</p>	<p>13- تحسس مشاكل الطلبة قبل حدوثها فيما يتعلق بفهمهم للمفاهيم والمصطلحات.</p>
<p>أعط الفرصة للطلبة للإجابة على الأسئلة والتأكد منها بأنفسهم.</p>	<p>14- أطلب من الطلبة أن يطرحوا الأسئلة باختصار ودقة</p> <p>15- أعط الفرصة للاكتشاف والتوجيه والضبط الفردي</p>

خامسا: علاقة الجامعة بالمحيط

من المعروف أن الصلة بين التعليم والاقتصاد صلة وثيقة؛ فالتعليم يساهم في التنمية بصورة مباشرة من خلال ما يقدمه لها من قوى بشرية متعلمة ومن معارف علمية هي ثمرة البحث العلمي الذي يرتبط بالتعليم، وما يغرسه من مواقف تجاه العمل والتنظيم والمجتمع تحابي جميعها التنمية بشكل أو آخر ومن جانب آخر فالاقتصاد يوفر للتعليم موارده المختلفة .

ومع أخذ المجتمعات النامية بفكرة التخطيط والتنمية، أصبح ينظر إلى التعليم بوصفه استثمارا بشريا يحقق عائدا اقتصاديا على كل من الفرد والمجتمع، واختفت تماما تلك الدعاوى التي أكدت على أن قياس العائد الاقتصادي من التعليم من الأمور الصعبة، لأنه ظهرت اتجاهات جديدة تؤكد وتدعم بالدراسات والأبحاث القيمة الاقتصادية للتعليم. وباعتبار الجامعة واحدة من المؤسسات التعليمية لها دور فاعل في تغيير المجتمعات وتطويرها، فقد قطعت شوطا كبيرا في هذا الإطار في الدول المتقدمة، أما في الدول النامية فما تزال في بداية الطريق وذلك نظرا لعدم إعطاء الأولوية اللازمة لها - الجامعة- وللبحث العلمي حيث أصبح إنشاء الجامعات مجرد تقليد شكلي لا يختلف دورها عن باقي الوسائط التربوية الأخرى.

إن إدراك المجتمع لقيمة الثروة البشرية كان الدافع الأساسي إلى الاهتمام بالتعليم والتدريب، إضافة إلى التفكير في الوسائل الفعالة التي توفر أفضل فرص التعليم والتدريب لأفراده وفقا لقدراتهم وقابليتهم، والتي تتيح لكل فرد من أفراد المجتمع حصته من التعليم والتدريب من خلال عمليات الإعداد المهني في صورها المتعددة بهدف تنمية هته الثروة البشرية .

جعل الدول العربية تهتم بافتتاح الجامعات ونمت أعداد تلك الجامعات بشكل متسارع متخذة أولوية إشباع حاجات الكم وتلبية طلبات خريجي التعليم الثانوي، حيث تطور عدد طلاب التعليم العالي لكل مئة ألف مواطن بين 1980 و1995، ومنه نجد أن الفجوة واسعة في هذا المؤشر بين الدول العربية عام 1995 بين لبنان والكويت 2712 و2247 على التوالي إلى السودان 272 وإلى جيبوتي 22.

وإذا كانت الجامعات في الدول المتطورة في علاقة تفاعل متبادل واستجابة دائمة لظروف محيطها وحل قضايا مجتمعتها، فإنها في الدول النامية ما تزال دون ذلك. لا يمكن الحديث عن أزمة الجامعات في الوطن العربي وكأن الانتشار المكثف للتعليم العالي لم يخلق إلا الاختلالات الخطيرة، لكن هذه الاختلالات يمكن إيجاد حلول لها عن طريق وضع طرق ونماذج جديدة لتنظيم الدراسة فيها ولهذا نتجلى الأزمة العامة المجتمعية للمؤسسة التربوية أكثر في الجامعة، ورغم تطور التعليم الجامعي وكذلك البحث العلمي عبر العالم، إلا أن لب التحدي الحقيقي للتعليم الجامعي المعاصر يتمثل في دوره المتجدد باستمرار في خدمة المجتمع بل وقيادة التغيير فيه، إن فلسفة التغيير التربوي والاجتماعي تستند إلى عنصري المحافظة والتجديد وهما طرفا معادلة صعبة قد يبدو أحيانا أنهما متناقضان ولكن الواقع أن التغيير التربوي المتزن يقوم على أساس التوازن الدقيق بين طرفي المعادلة، ففي الوقت الذي يستند التغيير فيه على الأساس المحافظ يخطو رويدا إلى الأمام في ثقة وانتظار واستقرار تميزه عن التغيير الجذري أو الراديكالي الذي يقتص الجذور التقليدية ويبدأ من جديد وهو ما يسمى أحيانا بالتغيير الثوري.

يعكس تحليل تراث تاريخ المجتمعات البشرية وتطورها طبيعة الاهتمام بالنظام التعليمي⁽⁹⁾، باعتباره من أهم النظم الاجتماعية التي تؤثر في طبيعة الحياة الاجتماعية ككل، كما ارتبط التعليم بنوعية التقدم الذي أحرزته المجتمعات وشعوبها، وما تركته من آثار وحضارات تبرهن على مدى اهتمام كثير من المجتمعات البشرية بطبيعة التعليم ومؤسساته المختلفة، والتعليم كنظام اجتماعي ارتبط بنوعية البناءات الاجتماعية Socials Structures التي ظهرت في المجتمعات البشرية، فلقد تأثر التعليم بنوعية النظم الاقتصادية والسياسية والقانونية... الخ، التي ولا تزال توجد في هذه المجتمعات، ومن ثم من الصعوبة أن تدرس هذا النظام التعليمي بعيدا عن التغييرات الاجتماعية التي تحدث في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية.

من هذا المنطلق، نجد أن معظم علماء العلوم الاجتماعية ركزوا على دراسة النظام التعليمي، محاولين التعرف بوضوح على طبيعة هذا النظام، وما يحدث بالفعل على كل من الفرد والمجتمع المحلي والقومي والعالمي، ويشارك علماء الاجتماع والنفس، والتربية

والتاريخ، والسياسة وغيرهم من علماء العلوم الطبيعية الأخرى التي تسعى وتهتم بالتعليم، خاصة وأن هذا الأخير يعتبر الوسيلة التي يمكن عن طريقها الحصول على المعرفة الإنسانية Humain Knowledge، وهذا ما يكشف عموماً طبيعة أهداف العلوم الاجتماعية والطبيعية معا السعي من أجل زيادة معرفة الإنسان بما يحيطه من أشياء وظواهر طبيعية واجتماعية في نفس الوقت.

ويوضح لنا التراث المعرفي للمجتمعات الإنسانية أن طبيعة نشأة الحضارات وازدهارها وتطورها، إنما حدثت نتيجة الاهتمام بالتعليم كعنصر أساسي للتحديث والتقدم والتغيير، ويتميز المجتمع الحديث بأنه المجتمع الذي يعتمد على التخصص والعلم كأساس أو سمة من السمات، التي تجعله يختلف عن بقية المجتمعات البشرية والسابقة.⁽¹⁰⁾

لقد كشفت تحليلات سابقة حول العلاقة المتبادلة بين التعليم عموماً وعمليات التنمية الاجتماعية والاقتصادية، كيف يمكن اعتبار التعليم وسيلة لإحداث التغيير الاجتماعي الشامل والمستهدف في المجتمعات في الوقت الحاضر، فهناك كثير من القضايا الأخرى التي يهتم بدراستها علم الاجتماع والمتخصصين في مجال علم الاجتماع التربوي، عندما يحللون العلاقة المتبادلة بين النظام التعليمي والمؤسسات التعليمية ونوعية المجتمعات التي توجد فيها.

ومن أهم قضايا الاستثمار التعليمي Educational Investment، تلك القضية التي تعكس بوضوح جوهر العلاقة بين التعليم والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، ولقد اهتم كثير من علماء الاجتماع والتنمية والاقتصاد بدراسة الاستثمار التعليمي من جوانب متعددة، ويرجع التغيير لنظرية رأس المال البشري Humain Capital Theory، التي ترتبط بتصورات تيودور شولتز T.Schultz، في تحليلها لأهمية التعليم واعتباره المكون الأساسي لرأس المال البشري.

وعلى الرغم مما هو معروف أن نظام التعليم الياباني الأساسي العام يعد من أحسن النظم التعليمية في العالم فإن اليابانيين منشغلون دوماً في عمليات الإصلاح (مراجعة دورية إجبارية للمناهج كل خمس سنوات). كما أن الولايات المتحدة قد شعرت بتدهور تنافسيتها وعزته إلى قصور نسبي في نظامها التعليمي، فأجرت الإصلاحات

اللازمة بعد تقرير "أمة في خطر". كما أن الأوروبيين يجرون تعديلات على نظامهم التعليمي (مثلاً برنامج أوريكا)، فإذا كان حال الأمم المتقدمة تجاه منظومتها التعليمية بهذا القدر من التخوف على نوعيتها ومدى ملاءمتها فإن البلدان العربية أوج ما تكون إلى مثل هذه المراجعة المستندة بآن واحد إلى التحليل الاقتصادي وإلى قيم اكتساب المعرفة في التطور الإنساني.

خاتمة:

ليس باستطاعتنا حل جميع المشكلات التي تواجه جامعاتنا، مع ذلك، فإن إحدى الخطوات المهمة والمفيدة هي تحديد المشكلات المختلفة التي نعيشها، ووضع طرق تعليمية تسهل من عملية التعليم. وفي هذا الخصوص، من المهم تشخيص بعض النقاط الرئيسية: أولاً، مادام هنالك أنواع مختلفة من التعليم، فإن طريقة التدريس تتأثر إلى درجة ما بنوع الموضوع الذي نقوم بتدريسه، ثانياً: بمقدورنا التدريس في مستويات مختلفة الحقائق البسيطة لتشجيع التقييم النقدي للأفكار وحل المشكلة، ثالثاً: مايعنينا في التعليم أخيراً هو مايقوم به الطلبة في ضوء معالجة المعلومات وحل المشكلات. لذلك فإن ما نقدمه كمحاضرين في المواقف التدريسية يكون هاماً وذلك لتأثيره على نشاط الطالب، ورابعاً وأخيراً: وجود شتى الأفكار لمساعدتنا في التخطيط لعملية التدريس.

قد نتفق معنا في أن الأهمية العملية لمبادئ التعليم وطرقه هي مركز اهتمامنا، وذلك هو السبب الذي حدا بنا إلى استعراض عدد من الطرق التي من شأنها رفع مستوى التعلم في مواقف تعليمية مختلفة كالمحاضرات مثلاً، والجلسات المخبرية والدراسة المستقلة.

ويتوجب أن نلاحظ أيضاً، أن المحاضرين سوف يجدون من الصعوبة تحسين عمليات التعليم -التعلم لأنهم أنفسهم يواجهون عدداً من المشكلات خارج نطاق سيطرتهم التي تعيق من مساهماتهم المهنية. لذلك تحتاج الجامعات والكليات أن تقوم بتشجيع ودعم المحاضرين بطرق عملية. وعلى الرغم من أن الفكر الجامعي يقدم مختلف المقترحات لتحسين عمليات التعليم -التعلم، فإن فعالية تلك تعتمد على المقترحات التي يقدمها

المعنيون، معتمدين على احتياجاتهم الخاصة وظروفهم. ليس هنالك إجابة مفردة لمشكلاتنا التعليمية.

الهوامش:

- 1- محمد أحمد مرسي، التربية وقضايا المجتمع المعاصر، ط2، دار الكتاب الجامعي، الامارات العربية المتحدة، 002، ص 147.
- 2- محمد محمود الحيلة، طرائق التدريس واستراتيجياته، ط 2، دار الكتاب الجامعي، الامارات العربية المتحدة، 2002، ص ص (144-208)
- 3- بربرا مارتيرو وآخرون، الأساليب الابداعية في التدريس الجامعي، ترجمة: حسين عبد اللطيف بعارة، ماجد محمد الخطايب، دار الشروق، عمان، 2002، ص 33.
- 4- محمد محمود الحيلة، نفس المرجع السابق، ص 209.
- 5- محمد خان، التقويم في الجامعة بين الهدف والإنجاز، الملتقى الوطني الأول حول البيداغوجيا، أيام 10/09 أبريل 2002، ص 114.
- 6- بربرا مارتيرو وآخرون، نفس المرجع السابق، ص ص (120-122).
- 7- محمد منير مرسي، الاتجاهات الحديثة في التعليم الجامعي المعاصر وأساليب تدريسه، عالم الكتب، القاهرة، 2002، ص ص (118-119).
- 8- بربرا مارتيرو وآخرون، نفس المرجع السابق، ص ص (127-129).
- 9- عبد الله محمد عبد الرحمن، سوسيولوجيا التعليم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995.
- 10- سلوى عبد الحميد الخطيب، نظرة في علم الاجتماع المعاصر، الطبعة الأولى، مطبعة النيل، القاهرة، 2002، ص ص (547-551).